وغايتها الموحدة، وإلى أن تكون له الإرادة الواعية الفاهمة يسير بها مع النظام لا ضده، وإلى الغاية لا إلى غيرها. ويسير بخطى مع النظام لا ضده، وإلى الغاية لا إلى غيرها. ويسير بخطى لا تردّد فيها ولا التواء. وإذ ذاك فهو الإنسان الإنسان، وفي مستطاعه أن يخلق من نفسه لنفسه ذلك العالم الذي ما برح يحلم به منذ أن عرف العذاب والشقاء والموت.

أمّا والفكر فينا ما يزال نسمةً لا إعصاراً، والخيال ثقاباً لا برقاً، والإرادة خيزرانةً مرضوضة لا سنديانةً عتيّةً فنحن لا نملك القدرة على تجديد أنفسنا وتغيير العوالم من حولنا حسبما نرتئي ونرغب. بل لا مناص لنا من مطاوعة المشيئة الكونيّة الشاملة التي ندعوها القدر. فحيثما طاوعناها عن فهم وعن رضا كان نصيبنا الهناء. وحيثما طاوعناها عن جهل وعن كراهية كان نصيبنا الشقاء. فهي الأم ونحن أطفالها. وهي المعلّمة والمهذّبة والمربّية ونحن تلاميذها. وهي المعيلة ونحن عيالها. ومثلما تستعين الأم في تنمية أطفالها، والمعلّمة والمربية والمهذبة في تهذيب تلاميذها، والمعيلة في إعالة عيالها بقوى كامنة فيهم على النموّ والفهم والتعاون كذلك تستعين الإرادة الشاملة في توجيهها الإنسان إلى غايتها بما في الإنسان من إرادة ومن قدرة على التفكير والتخيّل والفهم. فنحن نعاون القدر في كل مآتيه ومظاهره عرفنا ذلك أم